حركة التنصير(التبشير) في البلاد الإسلامية

مسعود عمر محمد علي.
قسم التاريخ -كلية الآداب غريان- جامعة غريان

المقدمة

التبشير او التنصير هو حركة دينية سياسية استعمارية بدأت في الظهور إثر فشل الحروب الصليبية ، بغية نشر المسيحية بين الأمم المختلفة بعامة وبين المسلمين بخاصة، ولقد أخبرنا الله جل وعلا منذ أكثر من أربعة عشر قرناً عن نيات أعدائنا من اليهود والنصارى ، فقال جل شأنه :((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ..)). وما زلنا نشاهد في الواقع المعاصر مصداق ذلك ، من هجمات شرسة على الإسلام وأهله ، تهدف إلى لقضاء عليهم نهائياً وإن لم يكن فصرف المسلمين عن دينهم إن استطاعوا حسداً من عند أنفسهم.

ومن الهجمات التي يواجها العالم الإسلامي ، حركات التنصير الواسعة ، التي يسعى فيها النصارى إلى نشر المسيحية بين المسلمين ، وتشكيكهم في دينهم ، سالكين في ذلك كل وسيلة ممكنة لتحقيق أهدافهم ومرادهم. فالاستعمار والتبشير وجهان لعملة واحدة ، وهي حقيقة أثبت التاريخ صدقها ، فلا يوجد بلد وطأته أقدام المستعمرين إلا وترافقهم أو تلحق بهم فوراً جنود التبشير، هذا إن لم يكن التبشير هو الأصل ويزحف من ورائه الاستعمار باعتباره الجسر الذي يعبر عليه لتنفيذ مخططاته التوسعية، ففي غالب الأحيان نجد أن التبشير يمهد للاستعمار أولاً، ليصبح الاستعمار بعد ذلك مسهلاً لحملات التبشير، وعليه فقد شهدت البلدان الاسلامية توافدا كبيرا للمبشرين سواء الكاثوليك أو البروتستانت وذلك طيلة القرون الماضية، حيث كان أغلب المبشرين الذين وفدوا إلى المنطقة من الأوروبيين من

اجل تمهيد الأرضية لدخول الاستعمار إلى المنطقة من جهة ، وممارسة التبشير من جهة أخرى. فقد كانت المؤسسات المسيحية مهتمة كثيرا بالبلاد الإسلامية، فهي لم ترسل مبشريها فقط لغرض التبشير بالإنجيل أو لتنصير العدد الأكبر منهم . بل كان لها هدف آخر في إنشاء المدارس المسيحية ، حتى يستطيع أطفال المسلمين تعلم القراءة و الكتابة. لتسهيل عملية تنصيرهم ، فقام المبشرون المسيحيون بإخبار المؤسسات المسيحية بإرسال معلمين أوروبيين يعلمون اللغات الأوروبية لتكون دعما و تشجيعا للإرساليات و رفع من شأن الكنيسة و من شأن الحضارة الغربية. فقام المبشرون بمجهود كبير لإقناع السكان بإرسال أبنائهم إلى المدارس المسيحية.

وبهذا عملت الإرسالية المسيحية أو البعثة المسيحية بجهد منظم لنشر الديانة المسحية غالبًا ما يكون بإرسال أفراد وجماعات، عرفوا باسم المبشرين ، يقومون بالتنقل عبر الحدود لغرض التبشير. حيث تعرف الكنيسة الكاثوليكية التبشير بأنه: "عمل رعوي موجه إلى الذين لا يعرفون رسالة المسيح .وطبقًا لوصايا العهد الجديد فإن المسيح قد أوصى تلاميذه ومن خلالهم جميع المسيحيين أن ينشروا الديانة إلى كافة أصقاع الأرض، وهذا ما يجعلها تكتسب أهمية كبيرة. فالكنيسة تعتبر التبشير "حق إلهي" وتصرّح: "من واجبها ومن حقها البديهي أن تبشر العالم أجمع بالإنجيل، باستقلالية تامة عن أي سلطة ونفوذ بشري، مهما كان، وأن تستخدم لذلك الأسلوب المناسب لكل مجتمع". إلى جانب التبشير الديني والوعظ الديني ونشر المعتقدات المسيحية، وتقوم البعثات المسيحية بأعمال إنسانيّة خاصة بين الفقراء والمحرومين. من خلال أنشطة في العمل الإنساني مثل تحسين التنمية الاقتصادية ومحو الأمية، ونشر التعليم ، والرعاية الصحية ، وبناء دور الأيتام. وتوفير المساعدات دون الحاجة إلى التحول الديني. وقد ناقشت في هذا البحث قضية التنصير بشكل عام ، وقسمته بعد المقدمة إلى التعريف بالتنصير وذكر تاريخه، وجذوره، وتوضيح أهداف التنصير. وإبراز أهم الوسائل والأساليب التي استخدمها التنصير لتحقيق أهدافه و ذكر الإمكانيات التي يمتلكها المبشرون.والتعريف بالمؤتمرات التنصيرية ، وذكر أهم هذه المؤتمرات. وذكر آثار التنصير على العالم الإسلامي, والأعمال التبشيرية في غرب أفريقيا .والخاتمة متضمنة أهم النتائج . كما اعتمدت هذه الدراسة على العديد من المراجع العربية والمترجمة وأخري أجنبية ، مثل الاسلام في أفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية, لمؤلفته حورية توفيق مجاهد، و الإسلام والتحدي التنصيري في افريقيا, لمؤلفه

عمر سالم عمر بابكور, وتاريخ افريقيا السوداء, للكاتب جوزيف-كي-زيربو, The roots of Ghana Methodism للكاتب Bartels, F.L, The History of Sierra Leone للكاتب Fyle. C.M, و Mission et conversion dans l'anglo- catholicisme للمؤرخ الفرنسي W.S.F. Pickering . وغيرها. كما إني حاولت جاهدا أن أضم في بحثي هذا أهم النقاط المتعلقة بالتنصير ، مع الحرص على أن يكون مختصراً اختصاراً شاملاً غير مخل بالموضوع .

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة الدراسة في هذا البحث في قضية التنصير بشكل عام ، وذكر تاريخه وجذوره وتوضيح أهدافه ، وإبراز أهم الوسائل والأساليب التي استخدمها المنصرين لتحقيق أهداف التنصير وذكر الإمكانيات التي يمتلكها المبشرون. والتعريف بالمؤتمرات التنصيرية ، وذكر أهم هذه المؤتمرات. وذكر آثار التنصير على العالم الإسلامي ، والاعمال التبشيرية في غرب أفريقيا.

مفهوم التنصير(التبشير) وتاريخه :

اولا : تعريف التنصير :

التنصير في اللغة : مأخوذ من مادة (نصر) ، والتَّنصُّر هو الدخول في النصرانية ، ... ، ونَصَّره : جعله نصرانياً .1(لسان العرب ، ابن منظور ، (50 / 4441).) وفي الحديث ((كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) 2(صحيح البخاري ، رقم الحديث (4475).). والتنصير :هو حركة دينية سياسية استعمارية بدأت في الظهور إثر فشل الحروب الصليبية ، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب3(مانع حماد الجهني. 2014.(665 / 2))يطلق البعض على حركة التنصير (التبشير) كما يزعم المسيحيون ، والتبشير في اللغة : مأخوذة من مادة (بشر) يقال بشره تبشيراً من البشرى4(مختار الصحاح ، ص 64) والتبشير : هو الدعوة إلى النصرانية ومحاولة دفع الناس إلى الدخول فيها بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة(سعد الدين صالح ،1998م ص35)5.

ثانيا : تاريخ التنصير :

بدأت الحركة التنصيرية بالظهور إثر الانهزامات التي مني بها الصليبيون طوال قرنين من الزمن -القرن الحادي عشر والثاني عشر للميلاد- وكانوا إذ ذاك يعملون على الاستيلاء على بيت

المقدس ونزعه من المسلمين ولكنهم لم يفلحوا أمام صلابة المسلمين ، وثمة شخصيات مهمة بذلت جهود كبيرة في حركة التنصير وأهم هذه الشخصيات :

1. الملك لويس: هو أول من حدد مهمة المنصِّر ، حددها وهو في الزنزانة كأسير حرب بالمنصورة –آخر الحملات الصليبية- فكان من أفكاره المهمة : تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات سلمية تستهدف الغرض نفسه ، ولا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع السلاح ، فسلاح التنصير : إعداد جند من المنصرين لمحاربة الإسلام ووقف انتشاره والقضاء عليه معنوياً ، واعتبر هؤلاء المنصرين في معاركهم هذه جنوداً رسميين للغرب الصليبي المستعمر6 (موسى الإبراهيم ، 2001م.ص 182) ، (وأشار على البابا أنوسنت الرابع بإنشاء أول جمعية للتبشير سنة 1253م) (سعد الدين صالح ،1998م ص 35)7 وبعد ذلك بدأ التنصير ينمو ويتسارع وينتشر حتى عم العالم الإسلامي كله.

2. روجر بيكون : دعى إلى ضرورة تعليم اللغة العربية من أجل تنصير المسلمين8(سعد الدين صالح ،1998م ص36).

3.ريموند لول : أول نصراني تولى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية ، تعلم العربية بكل مشقة، وأخذ يجول في بلاد الشام يناقش علماء المسلمين9(سعد الدين صالح ،1998م ص 35,و الموسوعة الميسرة ،665 / 2)).

4.البارون دوبيتز : حرك ضمائر النصارى منذ عام 1664 م إلى تأسيس كلية تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحي.

5.هنري مارتن : كان له أيادٍ طويلة في إرسال المبشرين إلى بلاد آسيا الغربية ، وقد ترجم التوراة إلى الهندية والفارسية والأرمينية.

6.صموئيل زويمر : رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين ، ورئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط ، كان يتولى إدارة مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية التي أنشأها عام 1911م ، ولا تزال تصدر إلى الآن من هارتيفورد. دخل البحرين عام 1890م ، ومنذ عام 1894م قدمت له الكنيسة الإصلاحية الأمريكية دعمها الكامل . وأبرز مظاهر عمل البعثة التي أسسها زويمر كان في حقل التطبيب في منطقة الخليج ، وتبعا لذلك فقد افتتحت مستوصفات لها في البحرين والكويت ومسقط وعمان . ويعد

زويمر من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث وقد أسس معهداً باسمه في أمريكا لأبحاث تنصير المسلمين.

7لويس ماسينيون : قام على رعاية التبشير والتنصير في مصر ، وهو عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، كما أنه مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال افريقيا10 (الموسوعة الميسرة ، مرجع سابق ، (2 / 666 – 667), في سنة 1810م أنشئ المجلس الأمريكي للتبشير ، وقد أرسل أول بعثاته إلى مالطة ، وأسس أول مطبعة تبشيرية عام 1815م ثم اتجهوا إلى القدس وبيروت وأنشأوا بها مطبعة أخرى عام 1834م قامت بطبع الكتاب المقدس ونشره في أنحاء العالم الإسلامي ، ثم أنشأت البعثة الأمريكية أخطر مراكز التبشير في العالم الإسلامي على الإطلاق وهي(الكلية السورية الإنجيلية) والتي عرفت فيما بعد باسم الجامعة الأمريكية. وفي سنة 1819م اتفقت جمعية الكنيسة البروتستانتية مع النصارى في مصر وكونت هناك إرسالية عهد إليها نشر الإنجيل في أفريقيا وقد استمرت حركة التبشير بعد ذلك إلى أوائل القرن العشرين حيث تفرع منها أسلوب آخر وهو الاستشراق بعد أن انكشفت وفشلت في تحقيق كثير من أهدافها.

وهكذا أخذ التبشير ينتشر حتى عم أغلب العالم الإسلامي وصار مصدر خطر حضاري على قيم أمتنا ، وأصالتها وتراثها11(إيمان عبد المؤمن. 1428ه ص 128 – 129). فهي حرب مستمرة وأسلحتها متنوعة ، والهدف واحد : القضاء على الإسلام العظيم ، فالواجب التحرك المنظم من أبناء المسلمين ، لدفع هذه الهجمات الشرسة المنظمة .

أهداف التنصير:

الباحث في أهداف التنصير يجد أن هناك أهدافاً معلنة ظاهرة ، وأخرى حقيقية توضحها أقوال المستشرقين وأفعالهم ، فالغاية مكشوفة (يجاهر بها بعض ساستهم ورجال الدين والفكر والاقتصاد مجاهرة لا موارية فيها ، كما يحاول بعض هؤلاء أن يكتموا حقيقة أهدافهم بضروب من المراوغة تأخذ طابع الدعاوي العريضة ، مثل : الرسالة الإنسانية ، ونشر الحضارة وبث المدنية، والنهوض والتقدم ، ونحو ذلك ..) 12(أشرف عبدالرزاق ، 1428هجري. ص 133 ، 134).لقد تكاثفت جهود الأوربيين النصارى لتحقيق الأهداف المرسومة للخطط التنصيرية ، وأعلنوا أنهم لن يستطيعوا الوصول إليها إلا عن طريق هذا الجهد المتعاون ، يقول لويس التاسع : (إنه لم يعد في وسع الكنيسة

أو فرنسا مواجهة الإسلام ، وإن هذا العبء لا بد أن تقوم به أوروبا كلها لتضييق الخناق على الإسلام ثم تقضي عليه ، ويتم لها التخلص من الحائل الذي يحول دون تملكها لآسيا وأفريقيا)13(أحمد عبدالوهاب ، القاهرة,1981م, ص 153). وبالإمكان إيجاز الأهداف الحقيقية للتنصير فيما يلي :

(1) القضاء على الإسلام في نفوس المسلمين:

يقول زويمر في مؤتمر تبشيري أقيم بالقدس عام 1928م والذي جمع فيه خلاصة أعمال المبشرين في العالم الإسلامي : (... مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ، ليست إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن هذا هداية لهم وتكريم ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية)14(أحمد عبدالوهاب ، القاهرة,1981م, ص161/160). وقد أخبرنا بذلك العليم الحكيم في قوله تعالى : ((ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم)) 15 (سورة البقرة ، آية.109).

(2) التمهيد للاستعمار:

ويتضح ذلك من حديث زويمر السابق ذكره في الهدف الأول حين قال : (وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية).

(3) القضاء على وحدة العالم الإسلامي:

يقول المبشر لورانس براون : (إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة ، أما إذا بقوا متفرقين ، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير)16(، أشرف عبدالرزاق ، 1428هجري. ص 131). ويقول القس سيمون : (إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية ، وتساعد على التملص من السيطرة الأوروبية ... ، ويجب أن نحول بالتبشير مجاري التفكير في هذه الوحدة حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل في المسلمين)17(، إيمان عبد المؤمن. 1428ه ص134). لذلك نجدهم يسعون جاهدين لإثارة الفتن ، وخلخلة الصف الإسلامي ، والبلاد المسلمة ، ولإثارة الفتن الطائفية ويذكر أن زويمر اندس بين طلبة الأزهر

في زي طالب علم وأخذ يوزع نشرات تثير الفتنة بين المسلمين والأقباط عام 1919م18 (إيمان عبد المؤمن. 1428ه ص134).

(4)محاولة وقف انتشار الإسلام:

يدرك قادة الغرب أن الإسلام قوة غالبة ، وأنه متى عرض على الناس عرفوا فيه الحق والهدى ، فيقبلون عليه ، ويقبلونه ، لذلك فهم يحاربون الإسلام خشية توسعه وانتشاره19(. عمر سليمان الأشقر, 1994م. ص 127) ، ويسلكون لذلك كل السبل فتراهم في الوقت الذي يهدمون فيه الكنائس في الغرب ، يسارعون في إنفاق الأموال الطائلة لبنائها في بلاد المسلمين20(. عمر سليمان الأشقر, 1994م. ص 127) ، وأما عن بلادهم فيسعون جاهدين لتشويه صورة الإسلام والمسلمين في نظر الشعوب الأوروبية ، سالكين كل طريقة ممكنة في ذلك ، كنشر المعلومات المغلوطة عن ديانة الإسلام و أتباعه سعياً بذلك لتعميم صورة نمطية واحدة مشوهة عن الإسلام وأهله وعلى رأسهم رمز الإسلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أمر الرسوم الكاريكاتورية الدنماركية عنا ببعيد. ومع ذلك كله يظل الإسلام الديانة الأسرع في الانتشار على مستوى العالم أجمع21(عبدالمعطي الدالاتي, 2006م. ص 78) ، بالرغم من التقصير الشديد من قِبل المسلمين في نشره.

4 **بث الهزيمة النفسية بين المسلمين:**

أدرك المستشرقون عظمة الثقافة الإسلامية وما تكسبه لأفرادها من قوة وعزة وثقة ، فوجهوا سهامهم نحوها ، يشوهونها ويحطون من شأنها حتى يتخاذل المسلمون عنها وعن الدفاع عن دينهم22(إيمان عبد المؤمن. 1428ه ص135) .

5 خدمة الصهيونية العالمية:

المستعرض لتاريخ المنصرين يجد أنهم (عقدوا عدة مؤتمرات لاغتصاب فلسطين وتسليمها لليهود ، وإماتة الروح الإسلامية عند المسلمين ، ... ، فكان هدف المنصرين : القضاء على وحدة الإسلام ، وهدف اليهود : إقامة دولتهم وهيكلهم المزعوم ، ووسيلتهما : الخديعة والمكر والتجسس ، والوقيعة بين المسلمين)23(إيمان عبد المؤمن. 1428ه ص131) .

).

6.الربح المادي والمكسب التجاري:

وهذا هدف لا ينفك عن الغرب أبداً ، وذلك لثقافتهم التي ترتكز على المادة ، فنجد أن من أهداف المنصرين الاستيلاء على خيرات المسلمين (بما يصدرون لهم من وسائل الترف والزينة ، وبما يسهل لهم سبلاً محرمة تمتص مختلف طاقاتهم الفكرية والجسدية والنفسية)24(، أشرف عبدالرزاق ، 1428هجري. ص136).

وسائل التنصير وأساليبه:

1. **التعليم**

والتنصير يضع كل ثقله لاستغلال التعليم وتوجيهه بما يخدم أهدافهم ، ولذلك فهم ينشئون المدارس والمعاهد ورياض الأطفال ليتسلموا فيها أبناء المسلمين ويربوهم التربية التي يريدونها. يقول زويمر : (إن أهم الأساليب إلى تدمير أخلاق المسلم وشخصيته يمكن أن يتم بنشر التعليم العلماني). ويقول في موضع آخر : (ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلا بد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية ونسهل الالتحاق بها ، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب). لذلك انتشرت المدارس التبشيرية في أنحاء العالم الإسلامي عامة ، وفي الخليج على وجه الخصوص حتى إن دولة الإمارات يوجد بها عشر مدارس تبشيرية ظاهرة وما كان في الخفاء فالله أعلم به. وانتشرت الجامعات التي يديرها منصرون في العالم الإسلامي كالجامعات الأمريكية في القاهرة وبيروت واستانبول. ومن الوسيلتين الأولى والثانية نجد أن المنصرين يعمدون إلى (استغلال الكوارث الطبيعية والحروب الأهلية : وما ينتج عنها من دمار وخراب وأوضاع مأساوية ... ، فضلاً عن أوضاع المسلمين المأساوية في بعض البلاد الإسلامية الفقيرة ، وما يحتاجون إليه من طعام وكسوة ومسكن بالإضافة إلى التعليم والعلاج مما يجعلهم فريسة سائغة لاستغلال المنصرين الذين يتظاهرون بمواساتهم مادياً ومعنوياً ، ويدّعون الاهتمام بهم صحياً وتعليمياً ، وصولاً إلى اكتساب قلوب هؤلاء المسلمين البسطاء ، ومن ثم السيطرة على عقولهم وإقناعهم بأن في النصرانية خلاصهم من عذاب الآخرة وفقر الدنيا ، ويشترط هؤلاء المبشرون على أولئك المسلمين الذهاب إلى الكنيسة لأداء قداس الأحد مثلاً ، أو يشترطون عليهم عدم المشاركة في الأنشطة الإسلامية نظير خدماتهم تلك.)25(إيمان عبد المؤمن. 1428ه ص133).

2. الخدمات الصحية:

لذا يسعى المبشرون لبذل الخدمات الطبية وخاصة في الأوساط الفقيرة ، استغلالا لحاجة الناس وعوزهم ،حيث يقول بول هايسون في كتابه ((الطبيب في بلاد العرب)) : (لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونسائها نصارى)26(أحمد عبدالله الرفاعي ، مجلة البيان ، العدد (153) . 2000م. خلال هذه الخدمات يحاولون تحقيق أهدافهم التنصيرية.

3. الأعمال الاجتماعية:

مثل ايجاد بيوت الطلبة المختلطة والأندية الرياضية والثقافية ودور الأيتام والمكتبات العامة والمراكز الثقافية والمخيمات الكشفية ، وغير ذلك من مجمعات يقطفون من ورائها أكبر الثمرات والنتائج27(موسى الإبراهيم,2001م.ص190).

4. استغلال المناصب السياسية والإعلامية:

بالرغم من أن الكنيسة ترفع شعار الابتعاد عن السياسة إلا أنها تدفع بالرهبان والقسس لتقلد المناصب السياسية ، ليتسنى من خلالها خدمة التنصير ، ففي خمسة دول إفريقية هي : توغو ، بنين ، الكونغو ، الغابون ، زائير يترأس المجالس النيابية في هذه البلدان قسس ورهبان28(موسى الإبراهيم ،2001م.ص190-191) .

5. إثارة الفتن والحروب في البلاد الإسلامية:

ويسعون لذلك من لأجل إضعاف الشعوب الإسلامية ، وذلك بإذكاء القوميات وإشعال الطائفية بين المسلمين29(عمر سليمان الأشقر ، 1994م. ص 130).

6. تشجيع تحديد النسل بين المسلمين:

وفي المقابل تشجيع النصارى على التكاثر ، ويدل على ذلك المؤتمر الذي عقده البابا شنوده مع القساوسة والأثرياء من نصارى مصر في الكنيسة المرقسية بالإسكندرية عام 1971م وكان من مقرراته : تحريم تحديد النسل أو تنظيمه بين شعب الكنيسة وتشجيع الإكثار منه بوضع الحوافز والمساعدات المادية والمعنوية . مع تحديد النسل بين المسلمين30(مانع حماد الجهني 2014 (674/2).

7. تشويه صورة الإسلام ورموزه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فكثيراً ما يلصقون بالإسلام تهماً كالهمجية والرجعية والإرهاب ، ولذلك أمثلة31(موسى الإبراهيم,2001م.ص 192- ومانع حماد الجهني 2014 (674/2) :

• تقرير الكنيسة الهولندية والذي تم نشره على نطاق واسع إذ جاء فيه : (أن الإسلام دين كاذب ، وأنه خطر على العالم)

• منظمة تنصيرية تنشر صور لمسلمين يصلون في المساجد وتكتب تحتها : (من أوكار الإرهاب)

• الحملات الإعلامية والدعائية التلفزيونية لحرب المراكز الإسلامية العاملة في تلك الدول واتهامها بالعمالة لدول معادية ، أو التخطيط لحرب دينية ونحو ذلك .

• نشر رسوم كاريكاتورية في صحيفة يولاندس بوستن الدنماركية ، وتبعتها الصحيفة النرويجية ماجازينت ، والصحيفة الألمانية دي فيلت ، والفرنسية فرانس سور ، وصحف أوروبية أخرى. كل ذلك ضمن أطر الحملات التشويهية للإسلام ورموزه .

8. الأدب التنصيري:

ويشمل كل فنون الأدب : كالقصة ، والمسرحية ، والقصيدة ، والخاطرة ، والنصوص السنيمائية ، والمقالة ، وكلها تحمل رسالة مفادها : اعتناق النصرانية والتنفير من الإسلام . وقد حذر الأديب نجيب الكيلاني حذّر من الأدب التنصيري الذي استخدم الإمكانات الفنيّة بدهاء وحنكة بالغين، فمزجت فنونه السم بالدسم، ولجأت إلى التلميح بدلاً من التصريح، واستخدمت الرمز وألوان الإثارة والتشويق، ونأت بجانبها عن السرد الأجوف، والتعبير المباشر الممل، ووظّفت الإيحاءات توظيفاً ماكراً، ورسمت حركة الحياة والأفراد وأنماط السلوك رسماً يتّفق ومعتقداتها32 (عمر سليمان الأشقر ، 1994م. ص 130-131).

والأدب التنصيري الغربي ليس في الحقيقة مجرد تبيان لمحاسن أخلاق المنصرين والقساوسة والرهبان فحسب ، ولكن هناك ما هو أخطر من هذا التصور ؛ إذ يهدف هذا الأدب إلى أمرين خطيرين هما:

1.تشويه صورة الإسلام والنيل منه ، وتوهين عرى الالتقاء بين المسلم وتراثه العقدي والسلوكي.

2.التمهيد لمفاهيم غربية أشد التصاقاً بالاتجاه الديني النصراني ، ولعل هذا يفسر السلوك الغربي المنافي لعقيدتنا في السهرات والاختلاط ، وتجاهل القيام بالفرائض ، والتخلي عن السنن والآداب

الإسلامية. وقديماً كتب كل من (إسكندر دوين) و (بريدو) و (روسّو) و (فولتير) قصصاً تنصيرية أوسعوا الإسلام وأشبعوه فيها سباً وقذفاً ، ولنسمع ما قاله توفيق الحكيم عن مسرحية (محمد) التي كتبها (فولتير) حيث قال : « قرأت قصة فولتير التمثيلية (محمد) فخجلت أن يكون كاتبها معدوداً من أصحاب الفكر الحرّ ؛ فقد سَبّ فيها النبي صلى الله عليه وسلم سباً قبيحاً عجبت له ، وما أدركت له علة ؛ لكن عجبي لم يطل فقد رأيته يهديها إلى البابا (بنوا الرابع عشر) » ، ويضيف توفيق الحكيم : « لقد قرأت فيما بعد رَدّ البابا على فولتير فألفيته ردّاً رقيقاً كيّساً لا يشير بكلمة واحدة إلى الدين ، وكله حديث في الأدب »)33(أحمد عبدالله الرفاعي ، مجلة البيان ، العدد (153) . 2000م).

9.استخدام التكنولوجيا الحديثة في التنصير:

كاستخدام البريد الالكتروني ، وشبكة الانترنت ، وقد زودت شركة مايكروسوفت لبرامج الكمبيوترات العالمية المؤسسات التنصيرية ببرامج مجانية بقيمة خمسة ملايين دولار خلال عام 1993م34(أحمد عبدالله الرفاعي ، مجلة البيان ، العدد (153) .2000م) . ولا يزال المبشرون يطرقون كل وسيلة تساعدهم على نشر النصرانية ، أو تشكيك وخلخلة المسلمين في دينهم ، ومن طرقهم التي لا تنطلي إلا على السذج والبسطاء ما كان منهم من نشر الإنجيل باللغة العربية في عدد من الدول الإفريقية وقد كُتب بطريقة تشبه القرآن الكريم ، ويحوي على زخارف ، ويبدأ فيه كل فصل ببسم الله الرحمن الرحيم ، مع تشكيل كلماته ، واختيارهم لكلمات من القرآن في ترجمة الإنجيل ومن طرقهم أيضا قراءة الإنجيل بطريقة تشبه تلاوة القرآن ، وإقامة القداس الأسبوعي يوم الجمعة بدلاً من يوم الأحد ، بطريقة تشبه صلاة المسلمين في حركاتهم ، وتزيي المنصرين بأزياء الدعاة والمشايخ ، وبناء الكنائس الجديدة بتصاميم تشبه المساجد فتقام لها قباب ومآذن ، الموافقة على بعض الأحكام والشعائر التي من العسير أن يتركها من يدعونهم إلى النصرانية كالتعدد والختان35(أحمد عبدالله الرفاعي ، مجلة البيان ، العدد (153) .2000م) ولابد من الإشارة إلى أن مما يساعد على نجاح هذه الوسائل والأساليب قيامها على دراسات منظمة وتحديث هذه الوسائل والأساليب وتطويرها ، إلى جانب قلة الثقافة والوعي عند المسلمين بما يدور حولهم من خطط تنصيرية وعمل دؤوب لصرف المسلمين عن دينهم ، ولتساهل أصحاب الحل والعقد في قبول المؤسسات التنصيرية واستقبال المنصرين في بلاد المسلمين أثر في

نجاح التنصير ، ولا ننسى عامل الفقر المدقع في بعض الدول الإسلامية والتي يجد فيها المنصرون التربة الخصبة لنشر النصرانية فيها بوسائلهم الإغاثية كما يحدث في بعض دول القارة الإفريقية36(عمر سليمان الأشقر ، 1994م. ص133-134) .

حقائق عن التنصير :

اولا : إمكانيات التنصير :

بلغت القدرات المالية التي تملكها الكنيسة أرقاماً مذهلة ، فقد أنفقت المسيحية العالمية المنظمة في الثمانينات من القرن العشرين 145 بليون دولار سنوياً ، ويعمل في أجهزتها 4,1 مليون عامل متفرغ ، وهي تدير 13000 مكتبة عامة كبرى ، وتنشر 22000 مجلة بمختلف اللغات عبر العالم ، كما تنشر 4 بلايين نسخة من الكتب في العام الواحد ، وتدير 1800 محطة إذاعية وتليفزيونية في أنحاء العالم ، وتستخدم المنظمات الكنسية أجهزة الكمبيوتر ، ويوصف أخصائيو الكمبيوتر المسيحيون بأنهم جيش مسيحي من نوع جديد وفي إحصائية أخرى تبين أن عدد المنصرين العاملين في التنصير في عام 1985م بلغ ربع مليون منصر غربي في آسيا وإفريقيا ، يمثلون 3500 منظمة وجمعية تبشيرية في الغرب ، يساعدهم 5,3 مليون مبشر)37(يوسف صديق و ابتسام الجابري ، 2006م. ص153) ثم إن الكنيسة تهيئ للمنصر كل المساعدات التي تجعله متفرغاً لعمله التنصيري ، فهي تهتم بأهل المنصرين وإجازاتهم وتأثيث بيوتهم ، وتقديم العلاج لهم حتى لا ينشغل المنصر عن عمله ومن الخدمات التي تقدم للمنصرين والتي تدل على الإمكانيات الهائلة التي يمتلكها المبشرون أن هناك أكثر من 600 مدرسة في الولايات المتحد الأمريكية تتولى تدريس أبناء المنصرين الذين يعيشون في أفريقيا وآسيا وغيرها، وهناك شركات لتدريب المنصرين على كيفية التصرف في الأزمات مثل الانقلابات العسكرية ، والاضطرابات الأمنية ، إضافة إلى المستشفيات النفسية التي تتكفل بعلاج القسس والمبشرين الذين يحتاجون إلى العلاج النفسي، وهناك شركات متخصصة في نقل احتياجات القسس والمنصرين إلى أي مكان في العالم بسعر زهيد38(عمر سليمان الأشقر ، 1994م. ص135).

ثانيا : المؤتمرات التنصيرية :

يعقد المبشرون المؤتمرات الإقليمية والعالمية ، لتنظيم الجهود ، وشحذ الهمم ، والاطلاع على كل جديد ، ومن هذه المؤتمرات :

1.مؤتمر القاهرة عام1906 م وقد دعا فيه زويمر الإرساليات التبشيرية البروتستانتية للبحث في مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين ، وقد بلغ عدد المؤتمرين 62 شخصاً ، وكان زويمر رئيسا للمؤتمر.

2.المؤتمر التبشيري العالمي في أدنبره بأسكوتلندا عام 1910م وقد حضره مندوبون عن 159 جمعية تبشيرية.

3. مؤتمر التبشير في لكهنؤ بالهند عام 1911م وحضره زويمر.

4.مؤتمر الكنائس البروتستانتية عام 1974 في لوزان بسويسرا.

5.مؤتمر جاكرتا 1975 وقد اشترك فيه 3000 مبشر نصراني.

6. المؤتمر السادس لمجلس الكنائس العالمي عام 1980م في كاليفورنيا بالولايات المتحدة ، وقد حث المؤتمر على ضرورة زيادة البعثات التنصيرية بين مسلمي الشرق الأوسط ، خاصة في دول الخليج.

7. المؤتمر العالمي للتنصير بالسويد عقد عام 1981م تحت إشراف المجلس الفيدرالي اللوثراني ، والذي خرج بدراسة مستفيضة عن التنصير لما وراء البحار ، بهدف التركيز على دول العالم الثالث39(عمر سليمان الأشقر ، 1994م.ص136).

ثالثا : آثار التنصير على العالم الإسلامي :

اخفق المبشرون في العالم الإسلامي في تحقيق أهم أهدافهم وهو نقل المسلمين إلى النصرانية اعتقاداً وعملاً . فقد كان الإسلام هو العدو الأول للمبشرين كما قال المبشر بلس : (إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق التبشير بالنصرانية في أفريقيا ، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا ،لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضاً لا من جهل السكان و لا من وثنيتهم وخصمنا الوحيد هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في افريقيا) ، ويقول المفكر الألماني باول شمتز : (حينما حل الإسلام ضاعت جهود المبشرين المسيحيين وفقدوا الأمل في تحويل روح وثنية

إلى المسيحية) ، ولا ينكر الدارس لحركة التنصير أن المنصرين قد نجحوا في تنصير بعض المسلمين في سوريا ولبنان ، وبعض أفراد في دول أخرى من العالم الإسلامي ، ولكن هؤلاء الذين تنصروا باعتراف المنصرين أنفسهم لم يكونوا مسلمين حقيقة وإنما كانوا واحداً من ثلاثة :

1. إما صغيراً لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام ؟ وهؤلاء هم الذين تربوا في الحضانة وفي الملاجئ النصرانية من أبناء الإسلام.

2. وإما رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوت يومه وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش.

3. وإما صاحب مصلحة يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية.

إذاً فشل المبشرون في تنصير مسلم واحد من المسلمين المتمسكين بإسلامهم ، ولكن التنصير ليس هدفه الوحيد تنصير المسلمين بل له أهداف أخرى تم ذكرها سابقاً ، كمحاولة إبعاد المسلمين عن دينهم ، وطبع المجتمعات الإسلامية بالطابع الغربي ، ونحوها مما يضعف أمة الإسلام 40 (مانع حماد الجهني 2014 (2/ 670 -671).

الأعمال التبشيرية في غرب إفريقيا:

الحملة التبشيرية في غرب إفريقيا هي جزء من الحملات التبشيرية في عموم البلاد الاسلامية، خصوصاً بعدما رفع شعار المنظمات والهيئات والجمعيات التبشيرية (تنصير إفريقيا في عام 2000م)، وكان ذلك عام 1993م ولكن تغير الموعد المحدد وأصبح مخطط التنصير حتى عام 2025م. وكانت الميزانية المخصصة للانطلاق (5,3) مليارات دولار، وكان نصيب تشاد منها (2) مليار نظراً لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية. هذه المنظمات تعمل وفقاً لخطة تنصير إفريقيا وكلها مظلات للكنيسة والتنصير. وتتولى هذه المنظمات وضع المناهج التعليمية المناسبة لهذه المدارس والخلاوي وتطوير اللهجات المحلية إلى لغات حية، واقتراح الوسائل المناسبة، وإعداد عناصر محلية لها القدرة على الكتابة والقراءة باللهجات المحلية وتعليمها للطلبة في هذه المدارس والخلاوي قبل أن تنتقل إلى مرحلة المدرسة. على الرغم من انتشار مظاهر التمسك بالإسلام، فنجد أن الظروف رسخت أن يظل الغرب الافريقي بعيدًا عن التأثير وذلك للعديد من الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في هذه البلاد. وأن كان عموم الغرب الأفريقي من بين مدراس عدة قاومت التنصير في عموم افريقيا. لقد كان رسوخ الإسلام في الغرب الافريقي، وتقبل الأفارقة له من العوامل الأساسية التي جعلت الإرساليات التبشيرية تحجم عن التبشير في الشمال. يوجد انتشار واسع لأماكن اللهو والحضارات والنوادي الليلية. ويمكن القول إن هناك صراعًا حضاريًا وثقافيًا بين الحضارة والثقافة الإسلامية والحضارة والثقافة الغربية. وأما انتشار الكنائس والنشاط التبشيري لصرف المسلمين عن دينهم ومعتقداتهم الإسلامية، فكبير. وقد بدأت هذه الحملة منذ الستينيّات،

وكانت في أوج نشاطها في عدد من المحافظات النيجرية. وقد تمكن هذا النشاط من جني ثمراته بتحويل عدد من أبناء المسلمين عن دينهم، وذلك بما يقدمه المبشرون من خدمات صحية وتعليمية باسم الخدمات الإنسانية. وأهم المناطق التي تأثرت بالنشاط التنصيري منطقة تيرا ودوتشي واغادس وطاوا ونياس ومرادى وساي. ولو انتقلنا إلى شرق النيجر نجد دولة البرنو الإسلامية التي كانت تضم منطقة زندر -في شرق النيجر- وما جاورها نجدها مليئة بالعلماء ومراكز العلم ومن أبرز علمائها الشيخ أحمد بن فرتو المعاصر لماي إدريس ألوما أشهر مايات الدولة –717/699هـ. الذي يعتبر مؤلفاته من المراجع الأساسية لتاريخ برنو وبخاصة فترة إدريس ألوما، والشيخ عمر بن عثمان العالم الواسع الاطلاع اتقن اللغة العربية والمنطق والبلاغة والشريعة والتوحيد فضلا عن القرآن والحديث. نجد نسبة المسيحيين في شمال نيجيريا لا تذكر وذلك بسبب المعاهدات التي تم توقيعها مع حكام الشمال في بداية القرن السابق بعد موافقة بريطانيا على عدم جواز التدخل في الدين الرسمي. ولم يشجع أمراء المسلمين في الشمال التعليم الغربي والتبشيري. فكثير من المسلمين في الشمال عارضوا التعليم الغربي في حد ذاته وأن إدخال هذا التعليم سوف يدمر المدارس القرآنية وهى أساس نظام التعليم الإسلامي. بالإضافة أن الدين الإسلامي أعطى للأفارقة احترامًا خاصًا مما كان مفتقدًا في الجنوب حيث التعليم التبشيري. ومن هنا حددت الإرساليات التبشيرية المسيحية نشاطها بعيدًا عن خصوصيات الإمارة الإسلامية. كان التعليم في نيجيريا على سبيل المثال مقصورًا على المسيحيين فقط، سواء فيما يتعلق بمدارس الإرساليات التبشيرية أو المدارس الحكومية أما المسلمون الذين يريدون إدخال أبنائهم في هذه المدارس فكان عليهم قبل كل شيء أن يغيروا أسماءهم إلى أسماء لاتينية ويشترط عليهم أيضًا أن يحضروا الصلوات التي تقام في تلك المدارس بالإضافة إلى البرامج التي تزيف حقائق التاريخ وتحمل كل ألوان التبشير والاستعمار. وفى الأيام الأولى للاحتلال البريطاني في بعض دول غرب أفريقيا، أعطت الحكومة الاستعمارية اعتبارًا خاصًا للمسلمين على أنهم أصحاب حضارة رفيعة عن الوثنيين البدائيين. وابتداءًا من يناير سنة1900. كانت أول إرسالية تقصد الشمال في ذلك الوقت هي الإرسالية التي غادرت بريطانيا في 16 ديسمبر سنة 1899 متجهة إلى بلاد الهوسا وكانت تحت قيادة الأسقف توجول Tugwell، وكان قد عُرف عنه اهتمامه بالثقافة العربية الإسلامية بصفة عامة ولغة الهوسا بصفة خاصة وقد قرأ كثيراً عن الهوسا والفولان ودرس

الموقف هناك قبل أن يقود الوفد إلى شمال نيجيريا وقد وصل هذا الوفد في الشهور الأولى سنة1900. وكان الدكتور والتر ميلر Walter Miller أحد أعضاء بعثة الأسقف توجول وهو واحد من أهم المبشرين الذين عملوا في شمال نيجيريا وإن لم يكن أهمهم جميعاً حيث كان تابعًا لجمعية الكنيسة التبشيرية وسجل آراءه في أربعة مجلدات. وفى سنة 1906 قام ميلر -الذى أصبح رئيسًا لبعثة الكنيسة التبشيرية بعد رجوع توجول إلى بريطانيا- قام بتقديم مشروع للحكومة يقترح فيه إنشاء مدرسة داخلية فيها قسم لتربية الذين نالوا قسطًا من الثقافة الإسلامية إلا أن المحاولة فشلت بسبب كون الثقافة الغربية في ذلك الوقت ثقافة مسيحية خالصة، لذلك لم يقبل عليها المسلمون ولم يروا فيها إلا وسيلة لتغيير دينهم وثقافتهم. الحقيقة أن التبشير في الشمال كان ضعيفًا ويرجع ذلك إلى أنه لا يوجد طلب شعبي على التعليم التبشيري والغربي والأمراء المسلمون في الشمال لم يوافقوا على عمل الإرساليات التبشيرية في الشمال. بالإضافة إلى تنوع القبائل واللغات في الشمال وأن الإرساليات بدأت مؤخرًا في الشمال. وحرصت الحكومة الاستعمارية على بقاء هذا الإقليم بعيدًا عن المؤثرات التبشيرية فترة طويلة من الزمن وبالإضافة إلى خشية المسلمين من تأثير النشاط التبشيري على الهيكل الاجتماعي. وكانت نتيجة لهذه السياسة أن مستوى التعليم والأدب(ماعدا العربي) منخفض عن الجنوب. وكانت الجمعيات التبشيرية لا تستطيع تأسيس محطات أو مدارس في الإمارات الإسلامية دون إذن الحكومة الإنجليزية بالإضافة إلى فشل الإرساليات التبشيرية في محاولتها ولم يستطيعوا أن يؤثروا على المسلمين في الشمال41(سعد الدين صالح .1998م, ص 81 -83).

وكان التعليم الحكومي في الشمال النيجيري ضئيلًا وعندما أراد لوجارد أن يضع تخطيطًا للتعليم في الشمال فكر في أن أهم ما يجب أن يقوم عليه تخطيطه الجديد هو أساسيات الثقافة الإسلامية التي أهتم بها أيضاً عن سن القوانين الإدارية. واختار لوجارد أحد مساعديه الإداريين هو هانز فيشر H. Vischer ليقوم بتنظيم التعليم في الشمال ذلك في عام 1909 حيث افتتح بناءً على توجيهات فيشر مدرسة حكومية في ناسارا قرب كانوا وبدأ العمل بإنشاء فصل لتدريب الدارسين للعمل كمدرسين وكانت هذه المدرسة تدرس القراءة والكتابة بلغة الهوسا بالحروف اللاتينية ومبادئ الحساب والجغرافيا ومبادئ الصحة العامة بالإضافة إلى اللغة العربية والدين الإسلامي. وفى عام 1929 حدث تطور مهم تمثل في اندماج إدارتي التعليم في الشمال والجنوب في إدارة واحدة، ووصل عدد

المدارس الحكومية في هذه السنة في الإقليم الشمالي 116. مدرسة تديرها الحكومة وتقدم لها الإدارات المحلية معونة مالية ومجموع تلاميذها 3549 تلميذ وتتكون من 95 مدرسة أولية 8 مدارس صناعية و12 مدرسة ابتدائية ومدرسة واحدة ثانوية، في الوقت الذى كان التبشير في الشمال قد نشط نسبيًا حيث كان عدد مدارس الإرساليات في نفس العام في الشمال 152 مدرسة منها خمس فقط تتلقى مساعدات مالية من الحكومة وإن كانت الحكومة البريطانية قد منعت المبشرين المسيحيين من العمل في شمال نيجيريا المسلم فإنها لم تحارب وجود تأثيرهم تمامًا في هذه المنطقة حيث تعين الجنوبيين من أبناء مدارس التبشير في الوظائف الحكومية التي لم تجد الإدارة الاستعمارية إعدادًا كافياً بها من متعلمي الشمال لشغلها42(عبدالجليل شلبي. 2007م.ص165).

على أية حال فإن التبشير في الشمال كان ضئيلاً بالمقارنة بالجنوب النيجيري مما أحدث عزلة بين الإقليمين ولقد عبر أبو بكر أمام عن مخاوف الشماليين حيث كان قد شغل لوقت طويل منصب مدير تحرير هوسا ويكلى (Housa Weckly) في مقابلته مع اتحاد طلبة غرب أفريقية في لندن سنة 1943تحدث عن مشاعر المتعلمين في كل من الشمال والجنوب تجاه الآخر فقال كل منا يحتقر الآخر وكل منا يتهم الآخر بالجهل وإن الجنوب فخور بالمعرفة والثقافة الغربية ونحن فخورون بالثقافة العربية وإننا لا نثق في المتعلمين الذين هم في الجنوب. ولقد وضع أبو بكر إمام قائمة بمخاوف الشماليين من الجنوبيين أهمها قيام الصحف الجنوبية بالسخرية من الهوسا وعدم احترامها للأمراء الشماليين. وأن الكتبة الجنوبيين في الشمال مميزون عن الشماليين في الوظائف الحكومية والشركات التجارية. ويطمع الجنوبيون في حكم الشمال. وإن كان النشاط التبشيري في الشمال قليلاً ولكنه تسبب مع سياسة الحكومة البريطانية في خلق دولتين في دولة مما كان له بالغ الأثر في قلة الوعى السياسي في نيجيريا حتى وقتنا هذا وازداد المد التبشيري في جنوب نيجيريا وكان للأزهر في مصر دور في تقوية وتعليم المسلمين في الشمال، فلقد درس في الأزهر العديد من الزعماء الإسلاميين ولا يزال النيجيريون يدرسون في الأزهر إلى وقتنا هذا. وقدم الأزهر منحًا دراسية لأبناء نيجيريا وكان الأزهر يقبل كل طالب يذهب إليه من البلاد الإسلامية ويعلمه بدون مقابل. ولم يتقبل المسلمون من ساحل الذهب التعليم الغربي سواء التبشيري أو الحكومي على الرغم من حرص بريطانيا على أن تمد سبل التعليم بفتح المدارس وتوزيع الكتب مما اضطر الحكومة إلى إغلاق بعض

المدارس هناك. أحرزت الطريقة الأحمدية نجاحًا في التعليم الإسلامي في الشمال حيث إن ساحل الذهب كان لم يتقبل التعليم الغربي. ولقد كان للتعليم الإسلامي السبق على التعليم الغربي في ساحل الذهب فقد بنى المسلمون المساجد وإلى جوارها المدارس التي كانت تعلم القراءة والكتابة ومبادئ الدين الإسلامي وتعاليمه وعمل أفراد هذه المدارس بالتجارة أثناء عملهم كمعلمين ثم جاء بعد ذلك التعليم الغربي في البداية على أيدى رجال الإرساليات التبشيرية فظهرت مدرسة الغابة. ولقد عزل البريطانيون المسلمين الغانيين عن الجو العربي حيث تمركزت الأغلبية الإسلامية في المناطق الشمالية، فأصبح الغانيون مجبرين على استخدام الحروف اللاتينية بدلاً من العربية.

ولم ينتشر التبشير في شمال ساحل الذهب وذلك بسبب تمسك المسلمين بدينهم ورفضهم للتبشير والتعليم الغربي. وحرص الحكومة الاستعمارية أن يظل التعليم الشمالي محتفظًا بذاته دون تأثير الإرساليات التبشيرية عليه لعدم إثارة المسلمين عليهم وتحقيق أهدافهم في عزل الشمال عن الجنوب ولم يكن يوجد طلب شعبي من المسلمين على التعليم الغربي. ولقد أقام أحد الدعاة وهو فضل الله حكيم مدرسة ابتدائية في غانا وأخرى متوسطة كما أقام دار للدعوة الأحمدية بعد وصوله في عام 1921 وفى كوماسي أقيم مسجد ومدرسة للتعليم الثانوي للأحمدية فأحرزت تقدماً ملموساً في نشر التعليم الإسلامي بين الأهالي في شمال ساحل الذهب. ولقد تنافس المسلمون والمسيحيون في جذب الروح الوثنية وبدلًا من أن يكون المجال خاليًا للإسلام أصبحت المسيحية تنافسه في المجال. ولا يزال الإسلام أسرع عقيدة تنمو حتى في مناطق عمل الإرساليات التبشيرية. لقد تنافس المسلمون والمسيحيون في سيراليون من أجل جذب الروح الوثنية ولم يكن الإسلام وحده في مسرح سيراليون حيث تركز الإسلام في الشمال أما الجنوب فتقدمت فيه المسيحية عن الإسلام. ولا يزال الإسلام أسرع عقيدة تنمو حتى في مناطق عمل الإرساليات التبشيرية، ومن أشهر الطرق الإسلامية التي قامت بنشر الإسلام في شمال سيراليون الطريقة الأحمدية نسبة إلى أحمد الباكستاني التي وصلت سيراليون عام 1939 من باكستان. وبعد الحرب العالمية الثانية انتشر الإسلام سريعًا في الوقت الذى كانت الإرساليات التبشيرية المسيحية في أقوى مرحلة لها ولقد انتشر الإسلام في العديد من المراكز والمدن في الشمال في سيراليون وبالأخص قبائل الفولا أو الماديجو Fullah or Madingo في الوقت الذى كان يحتار الأفريقي في الانضمام إلى كنيسة أو مذهب معين فإنه ترتقى

مكانته الاجتماعية بانضمامه إلى عالم الإسلام الواسع ولم يحارب الإسلام بعض المعتقدات والعادات الأفريقية مثل تعدد الزوجات.

ولقد فشلت المسيحية والإرساليات التبشيرية في المقاطعات الإسلامية حيث إن الإسلام كان لديه الوقت لتثبيت نفسه فيها وبسبب عدم تشجيع الحكومات الاستعمارية في انتشار النشاط التبشيري المسيحي في المناطق الإسلامية، الإسلام بوصفه دينًا عالميًا لا يعطى فقط المكانة الاجتماعية ولكنه يعطى مكانة ثقافية وهذا ما كتبه ترمنجام Trimingham في كتابه الإسلام العام Popular Islam فيما يخص المعتقدات الإسلامية والدين الإسلامي. ويقول شارلى. ر. تيبر عن الإسلام "إن الإسلام هو أكثر من عقيدة دينية إنه نظام متكامل للحياة والدين فالإسلام يدمج كل المؤسسات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية على أسس الإيمان والاقتناع والالتزام بقبول الله وبالاستسلام كلية لإرادته". على أية حال فإن المسلمين رفضوا التعليم الغربي الذى قدمته الإرساليات التبشيرية سواء في شمال سيراليون أو في شرق جامبيا. وعن أسباب رفض المسلمين للتعليم الغربي والتبشير، فقد وجدوا أن إدخال التعليم الغربي سوف يدمر المدارس القرآنية وهى أساس نظام التعليم الإسلامي ورأى آخرون أنها سوف تؤدى إلى خفض المستوى الخلقي وتدمير الإسلام لأن المسلمين سوف يختلطون بانتظام مع غير المسلمين.

يبقى أن الإسلام أول دين سماوي يدخل المنطقة، حيث وصل إلى منطقة تشاد في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، واعتنق السكان الدين الإسلامي، وانتشر في كافة الأراضي التشادية على فترات متقاربة ما عدا الأقاليم الجنوبية التي بقيت على الوثنية حتى بدأ انتشار الإسلام فيها في الآونة الأخيرة بفضل الله -تعالى-، ثم بفضل الجهود الجبارة التي بذلت هناك، مع أن الحركات التنصيرية وصلت إلى جمهورية تشاد برفقة المستعمر منذ عام 1923م إلا أنها لم تنجح في إدخال الوثنيين في الديانة النصرانية إلا عددا قليلًا بالنظر إلى جهودها المبذولة المتواصلة ليلًا ونهارًا.

الخاتمة

الاستعمار والتبشير وجهان لعملة واحدة وهي حقيقة أثبت التاريخ صدقها ، فلا يوجد بلد وطأته أقدام المستعمرين إلا وترافقهم أو تلحق بهم فورا جنود التبشير، هذا إن لم يكن التبشير هو الأصل ويزحف من ورائه الاستعمار باعتباره الجسر الذي يعبر عليه لتنفيذ مخططاته التوسعية، ففي غالب

الأحيان نجد أن التبشير يمهد للاستعمار أولا، ليصبح الاستعمار بعد ذلك مُسهّلاً لحملات التبشير، وعليه فقد شهدت البلدان الاسلامية توافدا كبيرا للمبشرين سواء الكاثوليك أو البروتستانت وذلك طيلة القرون الماضية، حيث كان أغلب المبشرين الذين وفدوا إلى المنطقة من الأوروبيين من أجل تمهيد الأرضية لدخول الاستعمار إلى المنطقة من جهة ، وممارسة التبشير من جهة أخرى. فقد كانت المؤسسات المسيحية مهتمة كثيرا بالبلاد الإسلامية، فهي لم ترسل مبشريها فقط لغرض التبشير بالإنجيل أو لتنصير العدد الأكبر منهم . بل كان لها هدف آخر في إنشاء المدارس المسيحية ، حتى يستطيع أطفال المسلمين تعلم القراءة و الكتابة. لتسهيل عملية تنصيرهم ، فقام المبشرون المسيحيون بإخبار المؤسسات المسيحية بإرسال معلمين أوروبيين يعلمون اللغات الأوروبية لتكون دعما و تشجيعا للإرساليات و رفع من شأن الكنيسة و من شأن الحضارة الغربية. فقام المبشرون بمجهود كبير لإقناع السكان في إرسال أبنائهم إلى المدارس المسيحية.

وبهذا عملت الإرسالية المسيحية أو البعثة المسيحية بجهد منظم لنشر الديانة النصرانية غالبًا ما يكون بإرسال أفراد وجماعات، عرفوا باسم المبشرين ، يقومون بالتنقل عبر الحدود لغرض التبشير. حيث تعرف الكنيسة الكاثوليكية التبشير بأنه: "عمل رعوي موجه إلى الذين لا يعرفون رسالة المسيح .وبهذا فعلي جميع المسيحيين أن ينشروا الديانة المسيحية في كافة أصقاع الأرض. فالكنيسة تعتبر التبشير "حق إلهي" وتصرّح: "من واجبها ومن حقها البديهي أن تبشر العالم أجمع بالإنجيل، باستقلالية تامة عن أي سلطة ونفوذ بشري، مهما كان، وأن تستخدم لذلك الأسلوب المناسب لكل مجتمع". إلى جانب التبشير الديني والوعظ الديني ونشر المعتقدات المسيحية، وتقوم البعثات المسيحية بأعمال إنسانيّة خاصة بين الفقراء والمحرومين. من خلال أنشطة في العمل الإنساني مثل تحسين التنمية الاقتصادية ومحو الأمية، ونشر التعليم ، والرعاية الصحية ، وبناء دور الأيتام. وتوفير المساعدات دون الحاجة إلى التحول الديني. وقد ناقشت في هذا البحث قضية التنصير بشكل عام.

وبعد الاستعراض السريع لحركة التنصير ، يتضح لنا مدى الخطر الذي يهدد العالم الإسلامي ، ويظهر لنا مدى الجهد الذي يتوجب على المسلمين القيام به من أجل حماية الإسلام والحفاظ عليه في نفوس المسلمين وقد توصلت بعد إتمام هذا البحث -بفضل من الله ومنّه- إلى النتائج:

1. للتنصير جذور عميقة ، وتاريخ ضارب في القدم ، بدءاً بالحملات العسكرية فالانتقال إلى الطريق السلمي غير المباشر.

2.إن المنصرين يسيرون وفق خطط منظمة لبلوغ أهدافهم التي يسعون من أجلها.

3. يمتلك المبشرون إمكانيات مالية هائلة تمكنهم من هذه التحركات الواسعة والإنفاق غير المحدود على كل الوسائل التي يستخدمونها يبذل المبشرون كل الجهد ويطرقون كل السبل للوصول إلى أهدافهم المنشودة.

4.. التنصير في العالم الإسلامي لم يحقق الهدف الأعلى له وهو إخراج المسلمين من دينهم إلا مع فئة ذات صفات معينة.

5.التنصير ليس الهدف الوحيد منه تحويل المسلم من الإسلام إلى النصرانية وإن كان هو الهدف الأعلى ولكنه عند إثارة الشبهات والفتن ، وتشويش الدين الإسلامي على المسلمين يكون قد حدد بعضاً من أهداف يسعى المبشرون لعمل دراسات جادة تُقدم في مؤتمراتهم للوصول إلى الطرق المثلى التي يسلكونها في التنصير.

المراجع

1.أحمد عبدالوهاب, حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر, القاهرة,1981م.

2. أحمد عبدالله الرفاعي ، التنصير يغزو العالم الإسلامي ، مجلة البيان ، العدد (153) ،1421 هـ-2000م.

3. أشرف عبدالرزاق, الثقافة الإسلامية بين الأصالة والتحديات ، الرياض. 1428هجري2007م.

4.إيمان عبد المؤمن ،الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة ، ط5, بيروت. 2007م.

5.الفريد هتشن, الطريق الي غانا, ترجمة, السعيد محمد بدوي, مؤسسة سجل العرب, القاهرة,1961م.

6. اورينو دالار, نشأة التيار الأفريقاني, ترجمة, هيثم اللمع, الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان, الطبعة الاولي.سنة.2001م.

7. جمال حمدان, استراتيجية الاستعمار والتحرير, بيروت, القاهرة, دار الشروق, 1983م.

8. تاريخ افريقيا العام, المجلد السادس, الطبعة الثانية, اليونسكو,1997م.

9.جاك مندلسون, الرب والله وجوجو: الاديان في افريقيا المعاصرة, ترجمة ابراهيم اسعد محمد, القاهرة: دار المعارف, 1971م.

10.جوزيف كام, المستكشفون في افريقيا, ترجمة وتقديم وتعليق, السيد يوسف نصر, القاهرة : دار المعارف, 1983م.

11.جوزيف-كي-زيربو. تاريخ افريقيا السوداء, ترجمة عقيل الشيخ خسين, الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان, الطبعة الاولي.سنة.2001م.

12.جون اليف, الأفارقة تاريخ قارة, ترجمة, امل ابوموسي, الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان, الطبعة الاولي.سنة.2001م.

13.جون لوريمر, تاريخ الكنيسة, ترجمة عزرا مرجان, القاهرة: دار الثقافة, 1992م. الجزء الخامس.

14.جيمس دفي, روبرت اء مانزر, افريقيا تتكلم, ترجمة, عبدالرحمن صالح, الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة, 1964م.

15. جيمس دفي, البرتغال في افريقيا, ترجمة, جاد طه, الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة, 1964م.

16.حورية توفيق مجاهد, الاتجاهات الايديولوجية للوحدة الافريقية, مجلة الدراسات الافريقية, معهد الدراسات الافريقية, جامعة القاهرة, العدد الرابع, 1975م

17.حورية توفيق مجاهد, الاسلام في افريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة, 2002م.

18.سيد عبد المجيد بكر, الاقليات المسلمة في افريقيا, مكة المكرمة, رابطة العالم الاسلامي, د.ن.

19. سعد الدين صالح, احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام, ط,2,1998.

20.عايدة العزب موس, العبودية في افريقيا, مكتبة الشروق الدولية, ط, الاولي, 2004م.

21. عبدالله عبدالرازق, الاسلام وتحدي الاستعمار الاوروبي في افريقيا, المكتب المصري لتوزيع المطبوعات, القاهرة, الطبعة الثانية, 1997م.

22. عبدالمعطي الدالاتي, ربحت محمداً ولم أخسر المسيح ،القاهرة, 2006م.

23.عمر سالم عمر بابكور, الاسلام والتحدي التنصيري في افريقيا, رسالة دكتوراه, مكة المكرمة, جامعة ام القري, 1417هجري.

24.عمر سليمان الأشقر, نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، ط4, بيروت, 1994م.

25. مانع حماد الجهني, الرياض, الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب الاحزاب, الرياض. 2014.

26. موسى الإبراهيم ، ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات ، ط2, بيروت,2001م.

27. مصطفي خالدي وعمر فروخ, التبشير والاستعمار في البلاد العربية, بيروت, 1953م.

28. .الهادي الدالي وعمار هلال, دراسة في حركات التبشير والتنصير بمنطقة افريقيا فيما وراء الصحراء. الدار المصرية اللبنانية' القاهرة.2002م.

29. يوسف صديق و ابتسام الجابري, الثقافة الإسلامية المعاصرة ومرتكزات الثبات المعاصرة ،ط2,الرياض 2006م.

30.Bovill, E.W.: *The Niger explored*, London, Oxford university press, 1968, 263p.

31- E. Stock, *History of the Church Missionary Society*, London, (3 vols), 1899, (vol. IV), 1916.

32- W.S .F. Pickering, *Mission et Conversion dans l'anglo-catholicisme : Buts, concepts et résultats. Evangélisation et mission en Grande-Bretagne*, Paris, Didier-Erudition, 1986, 194 p.